٤٦

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية

مركز دار اللتقمية والدراسات الإسلامية

محاضرة مكتوبة

الإشارة إلى حركة الردة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم



سماحة
الشيخ مرتضى الساعدي

محاور المحاضرة:

- أهمية الخطبة الفدكية وتواترها.
- فدك: نحلة أم ميراث؟
- حركة الارتداد والانقلاب على الأعقاب.
- مفهوم الإسلام بين الظاهر والواقع.
- إقامة الحجة وكشف التزييف.
- مآلات الانحراف وحفظ الشريعة.

أهمية الخطبة الفدكية وتواترها

يقع الكلام في الإشارة إلى حركة الردة والانقلاب الذي بُليت به الأمة بعد استشهاد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وهذا هو الأمر الخطير الذي ينبغي التأكيد عليه. ولكن قبل الخوض في ذلك، تجدر الإشارة إلى أن خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) المعروفة بـ "الخطبة الفدكية" تعد من الأمور بالغة الأهمية، وقد رويت هذه الخطبة بأسانيد مختلفة؛ إذ ذكرها ابن طيفور صاحب كتاب "بلاغات النساء"، وحينما سُئل عنها زيد الشهيد (رضوان الله عليه)، وقيل له: يا بن رسول الله، إن القوم يزعمون أن هذا إنما صدر من أحد البلغاء، أثبت (رضوان الله عليه) أصالتها قائلاً: "رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أبناءهم، وروته الشيعة وتدارسَته فيما بينها قبل أن يولد هذا البليغ" [1].

وقد ذكر سيدنا الحكيم (قدس سره) أنه إلى عصور قريبة، كان المتعارف عليه بين الناس تعليم أولادهم وتحفيظهم هذه الخطبة المباركة للزهراء (عليها السلام)، وكانت مما يُحفظ في مرحلة "الكتاتيب"، إلا أن هذه العادات بدأت بالاندثار شيئاً فشيئاً [2].

إذن، هذه الخطبة كانت تُروى في زمان الأئمة (عليهم السلام). ومما يؤكد أصالتها ما احتج به الشريف المرتضى على القاضي عبد الجبار صاحب كتاب "المغني في الإمامة"، مبيناً أن هذه الخطبة قد رواها غير الشيعة ممن لا يُتهمون بالتشيع [3] أو غير المتعصبين له.

---

[1] - الشافي في الإمامة، المرتضى: 4/ 76.

[2] - وردت عبارة مقاربة في "فاجعة الطف"، منقولة عن ابن طيفور في "بلاغات النساء" حيث قال: "ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء" (بلاغات النساء، ابن طيفور: 12).

[3] - ومثله تعليق للسيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، قال في التعليق التاسع: "خطبة الزهراء (سلام الله عليها) في شأن فدك رواها الخلف عن السلف من العلويين في جميع الأجيال إلى زمن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام. وكان مشايخ آل أبي طالب يروونها عن آبائهم ويعلمونها أبناءهم وهم من محاسن الخطب وبدائعها، وفيها عبقة من أريج الرسالة. كما أخرجها من إثبات الرواة غير الشيعة، فقد روى ابن أبي الحديد فصولاً منها ضمن جملة من أخبار فدك وما جرى في شأنها..."

كما يرويها الشيخ الصدوق في "معاني الأخبار" [4] بمضامين تقرب من المضامين المتداولة، وكذلك أوردها الشيخ الطوسي في "أماليه" [5] بتغيير يسير في بعض المصطلحات مع اتحاد المضمون العام. ويروي الشيخ الطبري صاحب كتاب "دلائل الإمامة" [6] حديث فدك بأسانيد مختلفة، وهناك من علماء الشيعة من ادعى أن هذه الخطبة نُقلت إلينا بالتواتر.

فدك: نحلة أم ميراث؟

يستدل الشيخ الطوسي في "التبيان" عند تفسير الآية الكريمة: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: 7] على أنها آية عامة تشمل الأنبياء (عليهم السلام)، ولا يوجد مخرج يستثني الأنبياء عن بقية الناس؛ وذلك لأن الزهراء (عليها السلام) استدلت على هذا المعنى بآيات قرآنية صريحة، منها: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: 16]، و﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: 6]. فقد كانت (عليها السلام) في مقام التخاصم مع القوم لإثبات أن النبي (صلى الله عليه وآله) كبقية البشر في قضية الميراث المادي، وأنه شخصٌ يُورّث كما يُورّث سائر الناس.

وذكر الشيخ الطوسي في تفسير الآية: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: 26] أن جبرائيل (عليه السلام) نزل فأخبر النبي (صلى الله عليه وآله) بأن يعطي للزهراء حقها، فأرسل في طلبها وأعطاها فدكاً في حياته (صلى الله عليه وآله). وفي حياة النبي، أرسلت الزهراء (عليها السلام) العمال ليديروا الأعمال هناك، وظلت فدك تحت تصرفها الفعلي حتى قُبض رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فصادرها أبو بكر، مما دفع الزهراء (عليها السلام) للمطالبة بحقها.

[4] - معاني الأخبار، الصدوق: 354.
[5] - الأمالي، الشيخ الطوسي: 374.
[6] - دلائل الإمامة، الطبري: 109.

وفي حقيقة الأمر، لم تطالب الزهراء (عليها السلام) بفدك بوصفها ميراثاً؛ لأنها تملكت هذه الأرض قبل رحيل النبي (صلى الله عليه وآله)، فهي لم تستورثها بعد استشهاده؛ إذ إن الميراث ينتقل بعد الوفاة، وفدك لم تكن ميراثاً، بل كانت ملكاً خالصاً لها في حياة النبي (صلى الله عليه وآله)، وقد أقدم أبو بكر على إخراج عمالها ووكلائها منها.

يقول الشيخ الطوسي: لما سمعت الزهراء (عليها السلام) ذلك، ذهبت إلى أبي بكر وخاصمته، فاحتج عليها بحديث ضعيف حتى في مبانيهم، وهو ما ورد عن النبي (صلى الله عليه واله): ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث، وما تركناه صدقة)). ويعلق الشيخ الطوسي قائلاً إن هذه المحاورة بينها (عليها السلام) وبين أبي بكر من الأمور المشهورة [7]، ثم استعرض ضعف هذا الحديث وأحال من أراد مراجعته إلى كتاب "التهذيب" ليتبين له مدى ضعفه.

حركة الارتداد والانقلاب على الأعقاب

لقد ابتدأت الزهراء (عليها السلام) خطبتها بحمد الله والثناء عليه، إلى أن وصلت إلى المطلب الأساسي الذي نريد الإشارة إليه، وهو بيان حركة الارتداد التي وقعت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله). ويؤيد ذلك الحديث الصحيح المروي عن أبي بصير وعن غيره عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((ارتد الناس بعد رسول الله إلا ثلاثة: سلمان، وأبو ذر، والمقداد، قيل: وعمار؟ قال: جاص جيصة أو حاض حيضة أو حاص حيصة لم يغسلها إلا في يوم صفين)) [8].

[7] - التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: 6/ 469.
[8] - مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: 4/ 116.

محل الشاهد هنا هو وجود روايات متضافرة تثبت ردة الناس بعد النبي (صلى الله عليه وآله). وقد أثبتت الزهراء (عليها السلام) واقع هذا الانحراف في خطبتها عندما قالت: ((وأطلع الشيطان رأسه من مغرسه))؛ أي من مخبئه. وكأن هناك حركة خفية كانت تدار في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) لتهيئة الانقلاب بسرية، وكان (صلى الله عليه وآله) مسيطراً عليها، فكانت تلك الحركة تقوى بين الفينة والأخرى، كما وصفهم الحق تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: 64]. لقد كان هؤلاء هم دواعي الفتنة ورؤوس النفاق في منطقة العرب، والقرآن يصرح بهذه الحقيقة جلياً بقوله: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة: 101].

والغريب في الأمر أن العامة يستدلون على أن الانقلاب العقائدي رافقه تبدل في النظم الإسلامية، وتبدل في المرتكزات التي رسخها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وتغيير في القوانين التي جُيرت لتطويعها من أجل مصالحهم الخاصة.

نعود للخطبة المباركة حيث تقول (عليها السلام): ((وأطلع الشيطان رأسه من مغرسه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً))؛ بمعنى أنكم بمجرد الإشارة قمتم باتباعه. وهذه إشارة صريحة إلى حركة الارتداد. وتتابع الزهراء (عليها السلام) معاتبة القوم في سياق خطبتها: ((وكتاب الله بين أظهركم، أرغبةً عنه تريدون، أم بغيره تحكمون؟ ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف: 50])).

ولقد جاء في علم البلاغة أن البليغ يأتي بالكلام المطابق لمقتضى الحال، والزهراء (عليها السلام) هي سيدة البلاغة؛ لذا استشهدت بالآية الكريمة: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]. ومعنى ذلك بصريح استشهادها (عليها السلام) أن القوم قد

خرجوا عن الإسلام، وتركوا جوهره، ولم يبقَ منه سوى واجهته الظاهرية. ثم جاءت بعد ذلك مرحلة "التصليح والترقيع" للأخطاء الكبرى، فادعوا المحافظة على الإسلام الظاهري وتصحيح المسار الذي انحرف؛ لأنه لم يبقَ من الإسلام سوى اسمه، بعد أن انقلبت الموازين والضوابط، حتى صار أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بعده في موضع الدفاع للحفاظ على ما تبقى من معالم الدين.

مفهوم الإسلام بين الظاهر والواقع

أشار السيد الحكيم في مقام بيان الآية المباركة إلى بعض الالتفاتات الدقيقة، فقال: في الحقيقة إن الإسلام هو مجموع الأمور التي تتضيق في زمن وتتسع في زمن آخر بلحاظ التبليغ؛ فلما كان في زمان الرسول (صلى الله عليه وآله) -قبل أن يأخذ عليهم عهد الإمامة- كان الإسلام في معناه المتعارف يقتصر على الشهادتين وما شابههما. ولكن، لما حدثت بيعة الغدير وأخذ الله الميثاق من القوم، اتسع مفهوم الإسلام ليشمل دائرة الإمامة؛ فمن أنكر الإمام فقد أنكر الإسلام؛ لأن من أنكر الجزء فقد أنكر الكل. وقد أشار القرآن الكريم إلى حالة التبعيض في الإيمان التي يمارسها بعض الناس، فيأخذون ما يتلاءم مع مصالحهم ويتركون ما يخالفها: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ﴾ [البقرة: 85].

وعليه، فمن أنكر الإمامة خرج عن حقيقة الإسلام الواقعي، وإن بقي في دائرة الإسلام الظاهري الذي يتيح لنا التعايش معهم واعتبارهم طاهرين [9].

وهذا الفهم تؤكده صراحةً الزهراء (عليها السلام) في موضع آخر من خطبتها قائلة: ((تتربصون بنا الدوائر))؛ أي أنكم تبحثون عن عثراتنا وتفرحون بالمصائب إذا حلت بنا. فهم في الواقع يشكلون امتداداً لحركة

---

9 - عثرنا على ما يقرب من كلامه (رحمه الله): في رحاب العقيدة: ١/ ٣٢: " وقد صرح بعضهم بأن قسما من أهل الردة ليسوا مرتدين حقيقة، بل نسب لهم الارتداد لامتناعهم من دفع الزكاة لأبي بكر، مع بقائهم على الإسلام.
وعلى ذلك يجري حديث أبي الرجاء العطارد يقال: «أتيت المدينة فإذا الناس مجتمعون، وإذا في وسطهم رجل يقبل رأس رجل، وهو يقول: أنا فداؤك؛ لولا أنت هلكنا. فقلت: مَن المقبِّل ومَن المقبَّل؟ قال: ذلك عمر ابن الخطاب يقبل رأس أبي بكر في قتال أهل الردة الذين منعوا الزكاة، إلى غير ذلك.
لكن ذلك كله لا يرجع إلى نفي الإسلام بالمعنى المتقدم، ولا إلى عدم ترتب أحكامه المتقدمة -من حرمة المال والدم إلا بحق، وجلّ الذبائح والنكاح وثبوت الميراث ونحوها-".

النفاق التي لم تؤمن بالله قط، وإنما دخلوا في الإسلام ظاهراً، وحاولوا السيطرة على زمام الأمور لسرقة الخلافة من أهلها الحقيقيين بعد استشهاد النبي (صلى الله عليه وآله).

ونحن هنا لسنا بصدد تفصيل محاولات اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) التي بلغت إحدى عشرة محاولة بهدف سرقة الخلافة في حياته. فهؤلاء هم رواد حركة الانقلاب في مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان الرائي يحسبهم صحبة ومرافقين للنبي وملازمين لمسجده، وقد أشار القرآن إلى وصفهم الخادع بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: 4]. ومن خلال هذا التخفي استطاعوا سرقة الخلافة من أهلها، على الرغم من إيضاح الحق لهم من قبل النبي (صلى الله عليه وآله). ولذلك، بعد أن تسلم أبو بكر مقاليد الأمور، جاء الأنصار إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقالوا: يا أمير المؤمنين، إن الأمر لك وأنت خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فتقدم يا علي ونحن أمامك لا نبرح حتى نُقتل بين يديك. فأجابهم (عليه السلام) ممتحناً: ((فإن كنتم صادقين ائتوني غداً محلقين رؤوسكم))، فلم يأتِ لتلبيته سوى ثلاثة أو أربعة رجال[10].

إقامة الحجة وكشف التزييف

بعد أن أقامت الزهراء (عليها السلام) الدلائل القاطعة على حركة الارتداد وأشارت إلى انحراف القوم عن الإسلام، وكانت عارفة بمآلات الأمور، صرحت بغايتها قائلة: ((أنا أعلم أنكم لا تقدمون شيئاً، ولكنها نفثة الصدر وإقامة الحجة)). أي: أنا أعلم يقيناً بأنكم لن تقدموا شيئاً، ولن تقيموا حقاً،

[10] ـ الكافي، الكليني: 8/ ٣٣.
((.. ثم خرج من المسجد فمر بصيرة فيها نحو من ثلاثين شاة، فقال: والله لو أن لي رجالا ينصحون لله عز وجل ولرسوله بعدد هذه الشياه لا زلت أبن أكلة الذبان
عن ملكه. قال: فلما أمسى بايعه ثلاثمائة وستون رجلا على الموت فقال لهم أمير المؤمنين (عليه السلام): اغدوا بنا إلى أحجار الزيت محلقين، وحلق أمير المؤمنين (عليه السلام) فما وافى من القوم محلقا إلا أبو ذر والمقداد وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وجاء سلمان في آخر القوم، فرفع يده إلى السماء، فقال: اللهم إن القوم استضعفوني كما استضعفت بنو إسرائيل هارون، اللهم فإنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى عليك شيء في الأرض ولا في السماء، توفني مسلما وألحقني بالصالحين)).

ولن تنصروا مظلوماً، إنما أردت أن أُخرج ما يختلج في صدري لأقيم الحجة البالغة عليكم.

أما أبو بكر، فلما استمع لاحتجاج الزهراء (عليها السلام) واستدلالها بالآيات المحكمات، أجاب بكلام يتضمن النفاق قائلاً: "يا بنت رسول الله، أنتِ ابنة رسول الله، إن أباك كان رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين، على الكافرين عذاب أليم". ثم استرسل بمدح النبي والثناء عليها، إلى أن قال: "يا ابنة رسول الله، هذه أموالي خذيها، لكني ما أفعل؟ فإني سمعت -وإن الرائد لا يكذب أهله- رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، إنما تركناه صدقة"، وفي بعض الروايات الأخرى: "إنما تركناه لولي الأمر" [11] .

لقد نصب أبو بكر نفسه ولياً للأمر، وبات المتصرف الوحيد بأملاك المسلمين، بل وبحقوق الزهراء (عليها السلام) ذاتها. فردت (عليها السلام) عليه قاطعةً بأنه حاشا لرسول الله أن يحكم بغير كتاب الله، واستدلت مجدداً بالآيات المباركة، وقالت -كما ورد في سند آخر-: ((لقد كذبتم، وشهدتم زوراً على أبي بعد وفاته، كما فعلتم ذلك في حياته)) [12].

---

[11] - معرفة السنن والآثار، البيهقي: 9/ 277.

13166 - وَرَوَوْا فِي ذَلِكَ رِوَايَةً عَنْ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ جَمِيعٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، " أَنَّ فَاطِمَةَ أَتَتْ أَبَا بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِذَا أَطْعَمَ اللَّهُ نَبِيًّا طُعْمَةً فَهُوَ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ». أَخْبَرَنَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْفَضْلِ الْقَطَّانُ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو بْنُ السَّمَّاكِ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، فَذَكَرَهُ.

13167 - إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «كَانَتْ لِلَّذِي يَلِي مِنْ بَعْدِهِ»، فَلَمَّا وُلِيتُ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَالَتْ: أَنْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ أَعْلَمُ، ثُمَّ رَجَعَتْ.

13168 - قَالَ أَحْمَدُ: وَهَذَا يَنْفَرِدُ بِهِ الْوَلِيدُ بْنُ جَمِيعٍ إِنَّمَا اعْتَذَرَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ بِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ».

[12]- يقرب منه ما في: أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، مقاتل ابن عطية :١/ ٢٦٥.

"قال أبو بكر: فإن عائشة تشهد وعمر أنّهما سمعا رسول الله وهو يقول: إن النبيّ لا يورّث.
فقالت: هذه أول شهادة زور شهدا بها، وإنّ لي بذلك شهودا بها في الإسلام، ثم قالت: فإنّ فدكا إنما هي صدّق بها عليّ رسول الله ولي بذلك بيّنة فقال لها: هلمي ببيّنتك قال: فجاءت بأم أيمن والإمام عليّ عليه السّلام، فقال أبو بكر:
يا أم أيمن سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول في فاطمة؟
فقالت: سمعت رسول الله يقول: إن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة. ثم قالت: أم أيمن: فمن كانت سيّدة نساء أهل الجنة تدّعي ما ليس لها؟! وأنا امرأة من أهل الجنة ما كنت لأشهد إلّا بما سمعت من رسول الله. فقال عمر: دعينا يا أم أيمن من هذه القصص، بأي شيء تشهدان؟
فقالت: كنت جالسة في بيت فاطمة عليها السّلام ورسول الله جالس حتى نزل عليه جبرائيل فقال: يا محمّد قم فإن الله تبارك وتعالى أمرني أن أخطّ لك فدكا بجناحي، فقام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مع جبرائيل عليه السّلام فما لبث أن رجع، فقالت فاطمة عليها السّلام: يا أبه! أين ذهبت؟ فقال: خطّ جبرائيل عليه السّلام لي فدكا بجناحه، وحدّ لي حدودها.
فقالت: يا أبه! إني أخاف العيلة والحاجة من بعدك، فصدّق بها عليّ.
فقال: هي صدقة عليك، فقبضتها، قالت: نعم.

وفي هذا السياق، نقل الشيخ الصدوق في كتاب "الخصال" هذه الرواية: ((ثلاثة كذبوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله): أبو هريرة، وأنس بن مالك، وامرأة)). ويبدي أبو الفتح الكراجكي استغرابه في كتابه "أغلاط العامة" قائلاً: يقول العامة إننا نحب آل بيت الرسول وكثيراً من الشخصيات الكريمة والعالمة، لكنهم في مقام العمل يتصرفون بخلاف ما يقولون، فيعملون بروايات أبي هريرة وأشباهه.

مآلات الانحراف وحفظ الشريعة

إذن، لقد كانت حركة الانحراف قائمة، والقوم لم يكونوا قد آمنوا بالله وبرسوله إيماناً حقيقياً، فقادوا حركة انحراف واسعة النطاق. ولو لاحظنا اليوم نسبة الشيعة في العالم لوجدناها تشكل (15%) من المسلمين، بينما بقي (85%) من المسلمين على خلاف الخط الإلهي؛ كنتيجة مباشرة لذلك الانقلاب وحركة الارتداد الأولى[13].

يقول النبي (صلى الله عليه وآله): ((إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا)) [14]. إذن، فالالتزام بالإسلام شرط مركب من جزأين، أحدهما لا ينفع دون الآخر. ورغم ذلك قالوا: "إنه يهجر، حسبنا كتاب الله"، وهو المضمون ذاته الذي صرح به عمرو بن العاص حين قال: "لا حكم إلا لله". لقد كانت قضيتهم الأساسية هي فصل القرآن عن راعيه والمبين له وهو الإمام. بهذه المقولات سددوا للإسلام ضربة قاتلة،

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:
يا أم أيمن! اشهدي، ويا عليّ اشهد.
فقال عمر: أنت امرأة ولا نجيز شهادة امرأة وحدها، وأمّا عليّ فيجرّ إلى نفسه"

[13] - الكافي، الكليني: ٨/ ١٠٣.
"عن الكميت بن زيد الأسدي قال: دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) فقال: والله يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك منه، ولكن لك ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحسان بن ثابت لن يزال معك روح القدس ما ذببت عنا، قال: قلت: خبرني عن الرجلين قال: فأخذ الوسادة فكسرها في صدره ثم قال: والله يا كميت ما أهريق محجمة من دم ولا أخذ مال من غير حله ولا قلب حجر عن حجر إلا ذاك في أعناقهما".

[14] - فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل 2/ 779.

فاختلت الموازين، حتى وصل الأمر إلى اعتبار "السُّنة" ليست سنة النبي (صلى الله عليه وآله) بل سنة الشيخين. ويتجلى ذلك واضحاً في مسألة "صلاة التراويح"؛ فعندما حاول أمير المؤمنين (عليه السلام) منعها وبين أنها بدعة، رموه بالحصى المفترش في المسجد وهم يهتفون: "وا سنة عمراه".

وخلاصة القول، إن الحق بقي محفوظاً في مجموعة من الناس؛ وهم أصحاب الأئمة (عليهم السلام) والعلماء الذين تكفلوا باستنباط الأحكام مما تركه الأئمة (عليهم السلام). فأصبحت الوظيفة الأساسية للأئمة (عليهم السلام) هي الحفاظ على الحقيقة نقية في أوساط نخبة معينة، إلى أن يُظهر الله أمره على يد وليه الأعظم. أما بقية المسلمين، فقد اختلفت عليهم العبادات والمعاملات؛ فاختلف حجهم وصلاتهم وصومهم وسائر أحكامهم. وإن المسألة ليست هينة؛ فهو انحراف جذري منذ اليوم الأول، وتغيير لمسار الأمة استُند فيه إلى قوانين واهية كقانون "عدالة الصحابة" وقانون "ولي الأمر"، وهي متبنيات أُلفت فيها المجلدات لتبريرها وتصحيحها عبثاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.